

نشأة الحياة العلمية في الحجاز عبد الجبار الرفاعي
مقدمة في بيان دور أهل البيت وشيعتهم
في ظهور وتطور العلوم الاسلامية في المدينة ومكة

الإسلام أول دين سماوي اقترنت ولادته بالدعوة إلى القراءة والحث على التعلم، فالكلمة الأولى التي هتف بها الوحي ووعتها أسمع النبي محمد ﷺ هي الأمر بالقراءة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾^(١)، وتلتها مباشرة ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾^(٢)، وجاء في سياقها تأكيد دور القلم ﴿الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾^(٣). وتكررت الآيات التي تحث على القراءة والتعلم ومرادفاتهما الأخرى منبسطة على مساحة واسعة في كتاب الله تعالى، حتى أضحى هذا الموضوع محورا أساسيا في القرآن.

وافتح نزول القرآن على النبي بالأمر بالقراءة ظاهرة متميزة لا نعثر على ما يماثلها في أي كتاب سماوي غيره، تعني في إحدى دالاتها أن القرآن كتاب يهدف إلى تعميم المعرفة وإشاعة العلم واستئصال منابع الأمية والجهل، ويتجلى هذا المعنى بصورة واضحة في بيان القرآن لمهمة النبي المتمثلة في الترقية والتعليم

الكتاب والحكمة ﴿.. ويزكيمهم ويعلمهم الكتاب والحكمة..﴾^(٤)، هذه المهمة التي باشرها النبيّ منذ اليوم الأول الذي بُعث فيه، وواصلها بدأب ومثابرة حتى آخر لحظة في حياته الشريفة.

لقد اتخذ النبيّ بعد بعثته من بيته ما يشبه المدرسة يعلم فيها ثلة قليلة ممن آمن به وصدقته في دعوته تعاليم دينه الجديد، وما ينطوي عليه من عقائد ومفاهيم وأحكام، ثم انتقل إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، وصارت هذه الدار الواقعة بمكة على الصفا بمثابة مدرسة للدعوة، يجري فيها إعداد وتأهيل المسلمين الأوائل بشكل سري، خشية من تنبه قريش واجهاضها الدعوة قبل أن تقوى شوكتها.

واستمرت هذه الدار تستقبل المؤمنين الجدد ليتعلموا فيها تعاليم الاسلام، (فلما تكامل عددهم أربعين رجلاً خرجوا)^(٥) وانطلقت الدعوة الى المرحلة العلنية لتنتفح على كل الناس وتجهراً عالياً بعقيدة التوحيد. ومع اتساع نطاق الدعوة ضاقت بها دار الأرقم فخرجت تبحث عن أماكن أخرى، فاحتضنتها دور المسلمين الأوائل في مكة، وسعى هؤلاء المسلمون لاتخاذ البيت الحرام منطلقاً لرسالتهم وقتئذ، بيد أن خصومهم من المشركين أصروا على الحيلولة بينهم وبين الإفادة من البيت الحرام كمدرسة لتعليم القرآن والدعوة إلى الدين الجديد، وقد نقلت لنا كتب السيرة صوراً متنوعة من التعذيب والاضطهاد الذي لاقاه المؤمنون من قريش في مكة^(٦).

وبعد احتدام الصراع بين المسلمين والمشركين في مكة اضطر الرسول ﷺ للهجرة إلى المدينة المنورة بمعية المسلمين، وكان قد سبق ذلك بسنوات هجرة طائفة من المسلمين إلى الحبشة فراراً من أذى قريش، وبحثاً عن أرض جديدة للدعوة. وفي دار الهجرة دخلت الدعوة مرحلة جديدة حققت فيها مكاسب



عظيمة، عندما امتدت جغرافياً فاستوعبت مناطق نفوذ جديدة. ومنذ وصول الرسول ﷺ إلى المدينة وإشادة المسجد النبوي، أضحي المسجد مركزاً فاعلاً في حياة الجماعة المسلمة في المدينة، تلقى من على منبره المسلمون أنوار الوحي ومعارف القرآن متدفقاً من فم الرسول ﷺ مباشرة، ويمكن القول: إن هذا المسجد المتواضع في بنائه وعمارته البسيطة احتضن مدرسة فريدة. الكتاب الذي كان محور الدراسة فيها هو القرآن، والمعلم الأول هو رسول الله ﷺ وتلامذته هم الصحابة. واستمرت هذه المدرسة تنمو وتتكامل، ففي كل يوم تستقبل تلامذة جدد من المسلمين القادمين إلى المدينة للتعرف على الاسلام، ومع مرور الزمن اتسع نطاق العلوم التي تدرس في المسجد، فلم تقف عند دراسة القرآن الكريم وإنما امتدت لتشمل الحديث الشريف، والمغازي والسيرة الشريفة، والفقه، حيث ظهرت أبرز مدارس الفقه الاسلامي المعروفة لدى المسلمين في أروقة هذا المسجد.

المراكز العلمية عند الشيعة:

من المعالم الشاخصة في مسيرة مدرسة أهل البيت الاهتمام بالعلم وتوقير العلماء، كما نقرأ ذلك في تاريخ أتباع هذه المدرسة من الشيعة في مختلف مراحل التاريخ، فلم تمنعهم ظروف الاضطهاد السياسي والقمع العنيف من أجهزة الخلفاء والسلاطين من طلب العلم.

ويمكن القول: إن التشجيع تحقق في العلوم الاسلامية بعمق مثلما تحقق وظهر في الثورات الاسلامية منذ عاشوراء وصبغ التاريخ الاسلامي بلون الدم والشهادة. وكما لا نحتاج إلى جهد كبير للتدليل على دور الثوار الشيعة في مقاومة سلاطين الجور، كذلك لا يمكن أن نغفل حجم مساهمات علماء الشيعة عند

الحديث عن نشأة وتطور العلوم الاسلامية^(٧). وهذا لا يعني أننا نذهب إلى ما قاله بعض الباحثين في رد تمام ما يزره التراث الاسلامي من معارف وفنون إلى التشيع ونفي مساهمة بقية فرق المسلمين، فإن المسلمين بأسرهم كان لهم نصيب في ابداع هذه المعارف وتنميتها، إلا أن العطاء العلمي للتشيع يظل متميزاً كما وكيفاً، ولا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الوضع الأممي والسياسي الذي عاشه الشيعة في مختلف فترات التاريخ. ولأجل بيان شيء من آثار هذا العطاء سنتحدث بإيجاز عن المراكز العلمية للتشيع بالحجاز وموقعها الريادي في نشأة وتطور العلوم الاسلامية.

المدينة المنورة:

المدينة هي الرحم الذي ولدت فيه بذرة التشيع، واحتضن الجيل الأول من شيعة الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، وتواصل توطن أئمة أهل البيت عليهم السلام فيها إلى الامام الحسن العسكري عليه السلام، ولم يغادرها أحد منهم إلا لضرورات سياسية أو عسكرية أو علمية أو أن يستقدمه السلطان الجائر فيسيّره إلى بغداد أو سامراء.

إن تراث أهل البيت وعلوم الإمامة فاضت من المدينة إلى بقية الأمصار بعد انتشار التشيع في شتى أقاليم الدولة الإسلامية آنذاك، وكان المسجد النبوي هو المركز العلمي الأهم الذي عقدت تحت سقفه الحلقات الدراسية الأولى عند الشيعة، وشهد هذا المسجد منذ تأسيسه إلى عدة قرون تعاقب مجموعة كبيرة من التلامذة، الذين انخرطوا في حلقات الأئمة عليهم السلام وأصحابهم ثم العلماء الشيعة في فترات لاحقة. فبعد غياب الرسول صلى الله عليه وآله عن المسرح مكث الإمام علي عليه السلام نحواً من ثلاثين سنة أمضى معظمها في المدينة ما خلا نحو خمس سنوات في الكوفة -



عكف فيها على صيانة القرآن الكريم والسنة الشريفة وتعليمهما، وكان قد انبرى لهذه المهمة منذ اليوم الأول بعد وفاة رسول الله ﷺ، يقول ابن النديم: إن علياً عليه السلام (رأى من الناس طَيْرَةً عند وفاة النبي ﷺ، فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن)^(٨) ويشير إلى ذلك ابن أبي الحديد بقوله (وأما قراءته للقرآن واشتغاله به فهو المنظور إليه في هذا الباب، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه)^(٩) وانفرد الإمام علي من بين الصحابة كافة باستيعابه لتمام علوم النبوة، فقد أورد الصفار في بصائر الدرجات بسنده (عن سماعة بن مهران عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله علّم رسوله الحلال والحرام والتأويل وعلم رسول الله علمه كله علياً عليه السلام) وبسنده (عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تعالى علّم رسول الله القرآن وعلمه شيئاً سوى ذلك منا علّم رسول الله فقد علّم رسول الله علياً عليه السلام)^(١٠) ويقول الإمام علي عليه السلام (كنت أدخل على رسول الله كل يوم دخلة، فيخيلني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يصنع ذلك بأحد غيري... وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكتُ وفنيت مسألي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي، فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها، وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعلمني فهمها وحفظها)^(١١). وقال عليه السلام موضعاً مرجعيته للتفسير وعلوم القرآن بعد رسول الله ﷺ: (سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتوني عن آية في ليل نزلت أو في نهار أنزلت، مكيا ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، لأخبركم به)^(١٢). واحتفظت لنا كتب الحديث

بعناوين جملة من الكتب، التي أملاها رسول الله ﷺ على بن أبي طالب عليه السلام، اشتهر منها «الصحيفة» و «كتاب علي» و «مصحف فاطمة». أما الصحيفة فهي عبارة عن صحيفة صغيرة تشتمل على العقل - مقادير الديات - وعلى أحكام فكاك الأسير^(١٣) أخرج نبأها البخاري، وغيره (عن أبي جعيفة، قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجلاً مسلماً، أو ما في هذه. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يُقتل مسلماً بكافر)^(١٤).

والكتاب الآخر الذي ورثه الإمام علي عليه السلام من رسول الله ﷺ هو ما عُرف بـ «كتاب علي»، قال غزافر الصيرفي: (كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر عليه السلام، فجعل يسأله، وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرماً، فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر عليه السلام: يا بني قم فأخرج كتاب علي، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، وفتحته، وجعل ينظر حتى أخرج المسألة. فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خط علي عليه السلام، وإملاء رسول الله ﷺ. وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد، إذهب أنت وسلمة وأبو المقدم حيث شئتم يميناً وشمالاً فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل عليه السلام^(١٥) وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: (والله إن عندنا لصحيفة طوها سبعون ذراعاً، فيها جميع ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش، إملاء رسول الله ﷺ وكتبه علي بيده صلوات الله عليه)^(١٦). وعن (الفضيل بن يسار قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا فضيل عندنا كتاب علي سبعون ذراعاً، ما على الأرض شيء يحتاج إليه إلا وهو فيه حتى أرش الخدش، ثم خطه بيده علي إيمامه)^(١٧).

وكان «مصحف فاطمة» كتاباً آخر أملاه رسول الله ﷺ على علي عليه السلام، وتوارثه أهل البيت عليهم السلام كأحد ودائع النبوة، روى (أبو حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام



قال: قيل له إن عبد الله بن الحسن يزعم أنه ليس عنده من العلم إلا ما عند الناس، فقال: صدق، والله ما عنده من العلم إلا ما عند الناس، ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام، وعندنا الجفر، أفيدري عبد الله أمسك بعير أو مسك شاة، وعندنا مصحف فاطمة، أما والله ما فيه حرف من القرآن، ولكنه إملاء رسول الله ﷺ وخط علي عليه السلام..(١٨).

لقد كان الامام علي بن أبي طالب عليه السلام يمثل المرجعية العلمية في حياة المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ، بالرغم من إقصائه عن المسرح السياسي في حياة الخلفاء الثلاث، لكنه كان يسهر على حماية تجربة الاسلام الفتية من النكوص والتداعي، وهذا ما جعله يسجل حضوراً مشهوداً في مواقف متنوعة، منها ما يرتبط بالقضاء وحسم الخصومات بين الطرفين المتنازعين حين يتعذر على الخليفة اتخاذ موقف قضائي بذلك^(١٩)، ومنها ما يرتبط ببيان المواقف الاستراتيجية في المنعطفات السياسية والعسكرية في الحياة الإسلامية، عندما يتعرض المسلمون لأخطار وشيكة، إثر الصراع المحتدم مع الامبراطوريتين الرومانية والفارسية، وقوى الشرك الأخرى في الجزيرة العربية. يضاف إلى ذلك الدور البارز الذي اضطلع به الإمام علي عليه السلام في حلّ المعضلات العقائدية والفكرية، التي كانت تتوالد كل يوم مع ازدياد عدد المسلمين واتساع رقعة الدولة الإسلامية. وهذا ما تحكيه بوضوح المراجع التاريخية، التي تحدثت عن تلك الحقبة، فحين تشير إلى طبيعة التحديات المختلفة، التي كانت تواجه المسلمين وقتئذ، تكشف عن الدور المتميز، الذي كان ينهض به الإمام علي عليه السلام، ففي التفسير وبيان ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه كان هو المرجع، وفي بيان الأحكام الشرعية هو المرجع، وفي حلّ المعضلات الفكرية المتنوعة هو المرجع، وفي المناظرات العقائدية هو المرجع، حتى شهد الخليفة الثاني بمرجعيته

هذه غير مرة قائلًا: (لولا عليٌّ هلك عمر)، و (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)، و (لا يُفتين أحد في المسجد وعليٌّ حاضر) (٢٠).

من هنا يتبين أنه كان المدرس الأول في المدينة المنورة، فإن (أمير المؤمنين علمٌ في مجلس واحد أربعائة باب، مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه) (٢١). وكان هو منهل العلم الذي استقى منه عدد وفير من الصحابة والتابعين المعارف الإسلامية، واليه ينتهي تأسيس جملة من العلوم الإسلامية، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: (ومن العلوم علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فُرع. وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبدالله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخرّيجه. وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط. ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتمون، وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشُّبلي، والجنيد، وسري، وأبو يزيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي، وغيرهم... ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى عليّ أبي الأسود الدؤلي جوامعه) (٢٢).

في ضوء ذلك يتضح أن الإمام عليّ ؑ مكث في المدينة المنورة بعد وفاة رسول الله مدة ناهزت عقدين ونصف العقد عكف فيها عليّ غرس بذرة العلوم الإسلامية، واعداد جيل من التلامذة كعبد الله بن عباس المعروف بـمُجرب الأمة، أسهم هذا الجيل فيما بعد في الامتداد بمدرسة عليّ ؑ من المدينة إلى بقية الأمصار الإسلامية، وتنمية العلوم التي غرسها. ومثلما كان للإمام عليّ الريادة في إرساء أسس مدرسة المدينة المنورة، والسهر عليّ تربية طائفة من التلامذة من ذوي البصائر، كذلك فعل الشيء نفسه لما بويع بالخلافة واتخذ من الكوفة عاصمة له.



مدرسة المدينة بعد غياب الامام علي عليه السلام:

لم تقفل مدرسة المدينة أبوابها بعد هجرة أمير المؤمنين إلى الكوفة عام ٣٥ للهجرة، ثم استشهاده في مسجد الكوفة بعد خمس سنوات من هذا التاريخ، وإنما تعاقبت عليها عدة أجيال من تلامذة الإمام علي وتلامذتهم. إذ امتدت الحركة العلمية في المدينة بأبناء علي من الأئمة عليهم السلام، وتلامذته الآخرين، الذين برز منهم عبدالله بن عباس، الذي باشر تعليم التفسير والحديث والفقه والأدب، وكان مجلسه يكتظ بالدارسين من مختلف الطبقات، قال عطاء: (ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر علماً وأعظم جفنة، وأن أصحاب القرآن عنده يسألونه، وأصحاب النحو عنده يسألونه، وأصحاب الشعر عنده يسألونه، وأصحاب الفقه عنده يسألونه، كلهم يصدرهم في واد واسع) (٢٣).

إلا أن ابن عباس عنى بتعليم التفسير وعلوم القرآن عناية فائقة فعرف به، ومُلئت المصنفات المبكرة للتفسير بمروياته وآرائه الخاصة. وعمل الوضاعون فيما بعد على وضع أشياء كثيرة ونسبتها إليه ترفلاً لأبنائه من الخلفاء في العصر العباسي (٢٤). وعلى هذا لا يمكن القول: أن تراث ابن عباس التفسيري يعبر عن روح مدرسة الإمام علي عليه السلام بصورة نقية أمينة، وإن كان ابن عباس نفسه أميناً فيما حكاه عن أستاذه، لكن التشويه والدرس الذي ابتليت به آثاره في العصر العباسي نأى بها عن المنبع الذي استقت منه، على أن ابن عباس لم ينفرد في مدرسة المدينة، وإنما سطع فيها نجم الحسن والحسين عليهم السلام، اللذين ورثا ودائع النبوة والعلوم التي نهلها أمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أورث الحسين ذلك لولده علي السجاد وصار السلف منهم يوصلها لخلفه، (عن عمر بن يزيد قال أبو جعفر عليه السلام: إن علياً عالم هذه الأمة، والعلم يتوارث، ولا يهلك أحد منا إلا ترك من أهله من يعلم مثل علمه أو ماشاء الله) (٢٥). وتؤكد المصادر التاريخية أن

عبدالله بن عباس كان على بيته من هذا الأمر، ولذلك كان يببالغ في احترام الحسن والحسين، يقول مدرك بن عمارة: (رأيت ابن عباس آخذاً بركاب الحسن والحسين، فقيل له: أتأخذ بركابيهما وأنت أسنّ منها؟ فقال: إن هذين ابنا رسول الله ﷺ، أو ليس من سعادي أن آخذ بركابيهما) (٢٦).

لقد واصل الحسنان رعاية مدرسة أبيهم في المدينة، والتف حولهما نخبة من تلامذة أمير المؤمنين وغيرهم ينهلون من حلقات دروسهم في المسجد النبوي الشريف، وذاع نبأ هذه الحلقات فرحل إليها طلاب العلم من خارج المدينة، فكان الحسن (يجلس في مسجد رسول الله ﷺ، ويجتمع الناس حوله، فيتكلم بما يشفي غليل السائلين، ويقطع حجج القائلين) (٢٧). ونالت حلقة الإمام الحسن في المسجد النبوي اهتمام القادمين إلى المدينة، وتميزت على ما سواها من الحلقات الأخرى في المسجد، يروي الواحدي (في تفسيره الوسيط ما يرفعه بسنده أن رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدث عن رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت له: أخبرني عن «شاهد ومشهود» (٢٨)، فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم عرفة، فجزته إلى آخر يحدث، فقلت له: أخبرني عن «شاهد ومشهود»، فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر، فجزتها إلى غلام كأن وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني عن «شاهد ومشهود»، فقال: نعم، أما الشاهد فمحمد ﷺ، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً﴾ (٢٩)، وقال تعالى: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ (٣٠). فسألت عن الأول؟ فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني؟ فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث؟ فقالوا: الحسن ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان قول الحسن أحسن) (٣١).



أما حلقة الإمام الحسين في المسجد النبوي فقد اشتهرت وتفوقت على نظائرها من حلقات الدرس في المسجد، حتى اضطر معاوية للاعتراف بذلك عندما قال (لرجل من قريش: إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ، فأريت حلقة فيها قوم كأن علياً رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبدالله، مؤتزرًا على أنصاف ساقيه، ليس فيها من الهزليي (٣٢) شيء) (٣٣).

وتمتع الإمام الحسين عليه السلام بمرجعية علمية في المدينة مثلما تسنم أمير المؤمنين عليه السلام قبل ذلك هذه المرجعية، فكان يدحض الشبهات العقائدية حين يعجز غيره عن تفنيدها، يقول (عكرمة عن ابن عباس: بينما هو يُحدِّث الناس، إذ قام إليه نافع ابن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس تُفتي الناس في النملة والقملة، صف لي إلهك الذي تعبد؟ فأطرق ابن عباس إعظاماً لقوله. وكان الحسين بن علي جالساً ناحية، فقال: إلي يا ابن الأزرق. قال: لستُ إِيَّاكَ أسأل! قال ابن عباس: يا ابن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة، وهم ورثة العلم. فأقبل نافع نحو الحسين، فقال له الحسين: يا نافع إن من وضع دينه على القياس، لم يزل الدهر في الالتباس سائلاً ناكباً عن المنهاج، ظاعناً بالاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قاتلاً غير الجميل. يا ابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه، وأعرِّفه بما عرِّف به نفسه: لا يُدرك بالحواس، ولا يُقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير منتقص، يوحد ولا يُبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال. فبكى ابن الأزرق، وقال: يا حسين ما أحسن كلامك! قال له الحسين: بلغني أنك تشهد على أبي، وعلى أخي بالكفر، وعلى ابن الأزرق: أما والله يا حسين لئن كان ذلك، لقد كنتم منار الإسلام، ونجوم الأحكام. فقال له الحسين: إني أسألك عن مسألة. قال: سل. فسأله عن هذه الآية ﴿وَأما الجدار فكان الغلامين يتيمين في المدينة﴾ (٣٤)؟ يا ابن الأزرق: من حُفِظ في الغلامين؟ قال ابن

الأزرق: أبوهما. قال الحسين: فأبوهما خير أم رسول الله ﷺ؟ قال ابن الأزرق: قد أنبا الله تعالى أنكم قوم خصمون^(٣٥).

وبعد الإمام الحسين عليه السلام انبرى ولده الإمام السجاد عليه السلام لتبني مدرسة المدينة ورعايتها، وحظي السجاد عليه السلام بمقام المرجعية العلمية في هذه المدرسة مثلما حظي أبوه وجده عليهما السلام قبل ذلك، وهذا ما تدلل عليه مجموعة شهادات صدرت من علماء معروفين من معاصريه، (فكان الزهري يقول: علي بن الحسين أعظم الناس علياً منته)^(٣٦) ويضيف قائلاً: (ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين! وما رأيت أحداً كان أفقاً منه، ولكنه كان قليل الحديث... لم أدرك من أهل البيت أفضل من علي بن الحسين)^(٣٧). و (قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أروع من فلان! قال: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا، قال: ما رأيت أروع منه!)^(٣٨).

وقال ابن خلكان في معرض الحديث عنه: (وفضائل زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تُحصَر)^(٣٩). وكان الإمام السجاد منصرفاً إلى بث علوم النبوة، متخدداً من المسجد النبوي مدرسة له، ففي كل جمعة يستثمر توافد المسلمين على المسجد فينبري للإرشاد والوعظ، يقول سعيد بن المسيب: (كان علي بن الحسين عليه السلام يعظ الناس، ويهديهم في الدنيا، ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة، في مسجد رسول الله ﷺ، وحُفِظَ عنه وكُتِبَ، يقول: أيها الناس اتقوا الله...)^(٤٠).

و حين يتحدث الإمام السجاد واعظاً يتفاعل معه الناس وتهيج عواطفهم، وتسود المجلس موجة من البكاء، (قال أبو حمزة: كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام إذا تكلم في الزهد ووعظ، أبكى من حضرته)^(٤١) ويبدو أن الإمام السجاد كان يمضي قسطاً وافراً من وقته يُعلِّم في المسجد النبوي، قال يزيد بن حازم: (رأيتُ



علي بن حسين وسليمان بن يسار، يجلسان بين القبر والمنبر، يتحدثان إلى ارتفاع الضحى ويتذاكران^(٤٢) و (عن ثوير بن فاخته، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يُحدِّث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: حدثني أبي أنه سمع أباه علي بن أبي طالب عليه السلام يُحدِّث الناس، قال:...) ^(٤٣)، ولم يقتصر نشاطه العلمي على فترات وجوده في المسجد، وإنما كان أهل العلم يقصدونه حيث مضى ولا ينفكون عن طلب الإفادة منه والارتشاف من معين علومه حتى في سفره، يقول سعيد ابن المسيب (إن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب..)^(٤٤). إن خروج موكب يضم ألف رجل من القراء مع علي بن الحسين، يبرهن بدون شك على حاجة أهل القرآن إليه، وأنه هو المرجع الأول في التفسير وعلوم القرآن يومئذ، ويمكن أن نستنتج من هذا الرقم الكبير «ألف راكب» وجود أجماع بين المسلمين على منزلته العلمية، ولا سيما إذا لاحظنا أن هذا الموكب لا يفارقه في رواحه ومجيئه، يقول سعيد بن المسيب: (كان القوم لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين سيد الساجدين..)^(٤٥).

إن التفاف الناس وطلاب العلم خاصة حول الإمام السجاد عليه السلام، ومرافقتهم له بنحو دائم في سفره وحضره، يعبر عن ظاهرة ملفتة للنظر، خصوصاً أن السجاد عليه السلام كان يخضع لرقابة السلطة الأموية باستمرار، لكن ذلك لم يثن أهل العلم من الارتباط بمجالسه والمحرض على مرافقته أينما رحل. وقد كان الوضع الأمني الذي عاشه الإمام السجاد عليه السلام في المدينة عقيب واقعة كربلاء مباشرة لا يسمح له بممارسة مهامه العلمية بحرية، إلا أنه لم يتخل عن تلك المهام، فتكثف عمله على أعداد وتربية نخبة من الرجال الذين وعوا علومه ونشروها بين الناس، (قال الفضل بن شاذان: ولم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير بن مطعم،

يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكر، سعيد بن المسيب رباه أمير المؤمنين عليه السلام، وكان حزن جد سعيد أوصى إلى أمير المؤمنين عليه السلام (٤٦). وكان لتلامذة الامام السجاد دور هام في نشر العلوم الاسلامية، فثلاً عرف سعيد بن جبير كأحد أبرز رجال التفسير والفقہ في عصره، حتى (كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير) (٤٧). واعترف ابن عمر عندما سأله رجال بأن سعيد أفقه منه، (عن أسلم المنقري عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن فريضة، فقال: إئت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني، وهو يفرض منها ما أفرض) (٤٨). وروى (عمرو بن ميمون عن أبيه، قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه) (٤٩).

أما سعيد بن المسيب فكان من أبرز علماء عصره مثلما وصفه الإمام السجاد (عن أبي جعفر، قال: سمعت علي بن الحسين يقول: سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار، وأفهمهم في زمانه) (٥٠).

ومضافاً إلى ما أنجبته مدرسة الإمام السجاد عليه السلام من حملة العلوم الإسلامية، خلفت لنا هذه المدرسة أيضاً نصين هامين، أحدهما عبارة عن مجموعة من الأدعية التي طفحت بالتحاليم والمفاهيم الربانية، اشتهرت باسم «الصحيفة السجادية»، والآخر هو وثيقة حقوقية نصت على طائفة من الحقوق الأساسية لله تعالى، وللنفس، وللأئمة، وللرعية، وللرحم، وللناس... وغير ذلك وعرفت باسم «رسالة الحقوق».

مدرسة المدينة في عصر الباقر والصادق عليهما السلام:

وبعد وفاة الإمام علي بن الحسين عليه السلام نهض بمهمة إدارة مدرسته والتعليم



فيها ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام، الذي احتضن تلامذة أبيه، واقتفى أثره في تربية مجموعة من العلماء، (وشُهرَ أبو جعفر بالباقر من: بقر العلم، أي شقّه فعرف أصله وخفيّه) ^(٥١). واعترف له بالتفوق العلمي وأهليته لإمامة المسلمين من ترجم له من المؤرخين، فمثلاً قال عنه الذهبي: (وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد، والشرف، والثقة، والرزانة، وكان أهلاً للخلافة) ^(٥٢)، وقال عنه أبو زرعة (ولعمري إن أبا جعفر عليه السلام لمن أكبر العلماء) ^(٥٣). ولم ينفرد الشيعة بتوقير مقامه والإفادة منه، وإنما ورد نميره طائفة من طلاب العلم الآخرين، لما وجدوا لديه من غزارة في العلم وإحاطة شاملة بالعلوم الإسلامية، فكانوا إذا أرادوا معرفة السنة الشريفة جاءوه، وإذا اضطربت الآراء وتزايدت الشبهات لم يجدوا الجواب النهائي عليها عند غيره، فقد روى أبو جعفر عليه السلام، أخبار المبتدئ وأخبار الأنبياء، وكتب عنه الناس المغازي، وأثروا عنه السنن، واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكتبوا عنه تفسير القرآن، وروت عنه الخاصة والعامة الأخبار، وناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء، وحفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام... وروى عنه عليه السلام أنه سُئل عن الحديث يُرسله ولا يُسنده، فقال: «إذ حدثت الحديث فلم أُسنده، فسندي فيه أبي عن جدِّي عن أبيه عن جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل» ^(٥٤). وكان مجلسه عامراً بالعلماء، وهم في غاية التواضع والاحترام له، قال عبدالله بن عطاء المكي: (ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة - مع جلالته في القوم - بين يديه كأنه صبي بين يدي مُعلِّمه. وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمد بن علي عليه السلام شبيهاً، قال: حدثني وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين عليه السلام) ^(٥٥). وكان عليه السلام يقد عليه السائلون وطلاب العلم

من شتى البلاد في ذلك العصر، ومجلسه يومئذ معروف في المسجد النبوي الشريف، ومزدهم بهؤلاء القادمين من تلك البلاد، كلٌ منهم يسأل ويطلب معرفة الحلال والحرام ومعالم دينه من أبي جعفر عليه السلام، يقول أبو حمزة الثمالي: (كنت جالساً في مسجد الرسول ﷺ، إذ أقبل رجل فسلم، فقال: مَنْ أنت يا عبدالله؟ فقلت: رجل من أهل الكوفة، فقلت: ما حاجتك؟ فقال لي: أتعرف أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام؟ فقلت: نعم، فما حاجتك إليه؟ قال: هيأت له أربعين مسألة أسأله عنها، فما كان من حق أخذته، وما كان من باطل تركته. قال أبو حمزة: فقلت له: هل تعرف ما بين الحق والباطل؟ قال: نعم، فقلت له: فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحق والباطل، فقال لي: أهل الكوفة أنتم قوم ما تُطافون، إذا رأيت أبا جعفر عليه السلام فأخبرني، فما انقطع كلامي معه حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحواله أهل خراسان، وغيرهم، يسألونه عن مناسك الحج، ففضي حتى جلس مجلسه، وجلس الرجل قريباً منه، قال أبو حمزة: فجلست حيث أسمع الكلام، وحواله عالم من الناس، فلما قضى حوائجهم وانصرفوا، التفت إلى الرجل، فقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصري، فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة...^(٥٦). وقد كان أبو جعفر الباقر عليه السلام مثلما كان أبوه السجاد عليه السلام، حيثما ذهب أو حلَّ يلحقه أهل العلم وينتهز أهل ذلك البلد أو القادمون إليه من بلدان أخرى فرصة وجوده عليه السلام فيرتشفون من منهله الغزير، (عن ثوير بن فاخته، قال: خرجت حاجاً فصحبني عمر بن ذر القاضي، وقيس الماصر، والصلت بن بهرام، وكانوا إذا نزلوا منزلاً، قالوا: أنظر الآن، فقد حررنا أربعة آلاف مسألة تسأل أبا جعفر عليه السلام منها عن ثلاثين كل يوم...)^(٥٧). أما إذا بلغ الإمام الباقر عليه السلام بيت الله الحرام، فيتهافت على مجلسه المقيمون في مكة وللقادمون من الامصار، ويصبح



مجلسه في البيت الحرام حديث الحاج في الموسم، لشدة ازدحام الناس عليه، (قال الأبرش الكلبي لهشام، مشيراً إلى الباقر عليه السلام: مَنْ هذا الذي احتوشه. أهل العراق يسألونه؟ قال هذا نبي الكوفة، وهو يزعم أنه ابن رسول الله، وباقر العلم، ومفسر القرآن. فأسأله مسألة لا يعرفها، فأتاه، وقال: يا ابن علي قرأت التوراة، والانجيل، والزبور، والفرقان؟ قال: نعم، قال: فإني أسألك عن مسائل؟ قال: سل، فإن كنت مسترشداً فستنتفع بما تسأل عنه، وإن كنت متعنتاً فتضلّ بما تسأل عنه...^(٥٨). ويؤكد موقف آخر تجمهر طلاب العلم حوله عليه السلام في الحرم، كما يقول أبو بصير: (كان أبو جعفر الباقر عليه السلام جالساً في الحرم، وحوله عصابة من أوليائه، إذ أقبل طاووس اليماني في جماعة، فقال: مَنْ صاحب الحلقة؟ قيل: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: إياه أردت، فوقف عليه، وسلّم وجلس، ثم قال: أتأذن لي في السؤال؟ فقال الباقر عليه السلام: قد أذنك فسل...^(٥٩). وتخرج في مدرسة الإمام الباقر عليه السلام نخبة من العلماء الذين سهروا على حفظ ورواية أحاديث أهل البيت عليهم السلام ونشرها بين حفظة العلم، من أمثال أبان بن تغلب بن رباح، الذي كان من تلامذة علي بن الحسين، وأبي جعفر، وأبي عبدالله عليه السلام، روى عنهم، وكانت له عندهم منزلة وقدم... وقال له أبو جعفر عليه السلام: «اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك»... وكان أبان إذا قدم المدينة تقوّضت إليه الحلق، وأخلت له سارية النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٦٠). واعترف الجمهور باستيعاب تلامذة الإمام الباقر عليه السلام ودقتهم في رواية الحديث الشريف، فقد ورد في (مسند أبي حنيفة قال الراوي: ما سألت جابر الجعفي قطّ مسألة إلا أتاني فيها بحديث...)^(٦١). وهكذا كان محمد بن مسلم الثقفي الذي يقول: (ما شجر في رأبي شيء قط إلا سألت عنه أبا جعفر عليه السلام، حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبا عبدالله عليه السلام عن ستة عشر ألف

حديث(٦٢). وكان بعض الوافدين إلى مدرسة الإمام الباقر عليه السلام من الأمصار يمكثون عدّة سنوات فيها للتزود من معارف أهل البيت عليهم السلام منقطعين عن أوطانهم وأهلبيهم، كما فعل محمد بن مسلم الذي أقام بالمدينة أربع سنين يدخل على أبي جعفر عليه السلام يسأله، ثم كان يدخل على جعفر بن محمد عليه السلام يسأله(٦٣).
وقدم جابر الجعفي إلى المدينة لطلب العلم منه عليه السلام، يقول جابر: (دخلت على أبي جعفر عليه السلام وأنا شاب، فقال من أنت؟ قلت من أهل الكوفة، قال: ممن؟ قلت: من جعفي، قال: ما أقدمك إلى ههنا؟ قلت: طلب العلم، قال: ممن؟ قلت: منك...) (٦٤).

ولا يسعنا في هذا المقام أن نتحدث عن جميع من تخرج في مدرسة الامام الباقر، والذين تجاوز عدد المعروفين منهم أكثر من (٤٥٠) أربعمئة وخمسين رجلاً(٦٥).

وبعد وفاة الإمام الباقر خلفه في مدرسته ولده الإمام جعفر بن محمد الصادق، الذي (نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركب، وانتشر ذكره في البلدان، ولم يُنقل عن أحد من أهل بيته ما نُقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فان أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل... وكان عليه وآبائه السلام يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث رسول الله قول الله عز وجل»(٦٦). واتسع نطاق مدرسته فاستوعبت عدداً غفيراً من طلاب العلم، وامتدت جغرافياً لتتخذ من مدينة الكوفة مركزاً لها في ذروة نموها وتطورها. فإن انتقال الإمام وحلوله في أي مكان كان سبباً لأن



يقصده أهل العلم ويلتفوا حوله للارتشاف من غير علمه. وكان البعض يستفيد من وفود الإمام الصادق عليه السلام إلى بيت الله الحرام فيتلقى العلم منه، ويلجأ إليه في دحض شبهات الزنادقة التي بدأت بالظهور في هذا العصر، وبلغت الجراءة بأصحابها أن يذيعوها في المسجد الحرام في موسم الحج، فان (ابن أبي العوجاء، وابن طالوت، وابن الأعمى، وابن المُفَعِّع، في نفرٍ من الزنادقة، كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام، وابو عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام فيه إذ ذاك يفتي الناس، ويُفسِّر لهم القرآن، ويُجيبُ عن المسائل بالحجج والبيِّنات. فقال القوم لابن أبي العوجاء: هل لك في تغليب هذا الجالس وسؤاله عمّا يفضحه عند هؤلاء المحيطين به؟ فقد ترى فتنة الناس به، وهو علامةُ زمانه، فقال لهم ابن أبي العوجاء: نعم، ثم تقدّم ففرّق بين الناس، وقال: أبا عبدالله، إن المجالس أمانات، ولا بد لكل من كان به سُعالٌ أن يسعل، فتأذّن في السُّؤال؟ فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «سل إن شئت».

فقال له ابن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلذذون بهذا الحَجَر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟! من فكر في ذلك وقدر، عَلِمَ أنه فعلٌ غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنائه، وأبوك أسُّه ونظامه. فقال له الصادق عليه وعلى آباءه السلام: «إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخمَ الحق فلم يستعذبه، وصار الشيطان وليه وربّه، يُورده مناهل الهلكة، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله قبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى عُفرانه، منصوبٌ على استواء الكمال، ومجمع العظمة والجلال، خلقه قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحقّ من أُطيع فيما أمر وانتهى عمّا زجر، الله عزّ وجلّ المنشيء للأرواح والصور».

فقال له ابن أبي العوجاء: ذكرت - أبا عبدالله - فأحلت عليّ غائب. فقال

الصادق عليه السلام:

«كيف يكون - يا ويلك - عتياً غائباً مَنْ هو مع خلقه شاهدٌ، وإليهم أقربُ من حبل الوريد؟! يسمعُ كلامهم ويعلم أسرارهم، لا يخلو منه مكانٌ، ولا يشتغل به مكان، ولا يكونُ إلى مكان أقرب من مكان، تشهد له بذلك آثاره، وتدُلُّ عليه أفعاله، والذي بُعث بالآيات المحكِّمة والبراهين الواضحة محمدٌ ﷺ جاءنا بهذه العبادة، فإن شككت في شيء من أمره فاسأل عنه أو ضحه لك». قال: فأبلس ابنُ أبي العوجاء، ولم يدر ما يقول، فانصرف من بين يديه، وقال لأصحابه: سألتكم أن تلتمسوا لي حُمْرَةً فألقيتموني على جمره، قالوا له: اسكت، فوالله لقد فضحتنا بحيرتك وانقطاعك، وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه فقال: ألي تقولون هذا؟! إنه ابن مَنْ حلق رؤوس مَنْ ترون، وأوماً بيده إلى أهل الموسم (٦٧).

وعندما نراجع مواقف المعاصرين للإمام جعفر الصادق من الفقهاء، والرواة، والمفسرين، نجدهم يعترفون بأسرهم له بالفضل والمقام العلمي الشاخص، ويشهد الخضم منهم فضلاً عن سواه بمرجعيته العلمية، وحاجة الجميع إليه واستغنائه عن الجميع، يقول النوفلي: (سمعتُ مالك بن أنس الفقيه يقول: والله ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد عليه السلام زهداً، وفضلاً، وعبادة، وورعاً، وكُنْتُ أقصده فيكرمني، ويُقبل عليّ، فقلتُ له يوماً: يا ابن رسول الله ما ثواب مَنْ صام يوماً من رجب إيماناً واحتساباً؟ فقال: - وكان والله إذا قال صدق - حدثني أبي عن أبيه عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ صامَ من رجب إيماناً واحتساباً غُفرَ له، فقلتُ له: يا ابن رسول الله فما ثواب مَنْ صام يوماً من شعبان؟ فقال: حدثني أبي عن أبيه عن جدّه، قال رسول الله ﷺ: مَنْ صام يوماً من شعبان إيماناً واحتساباً غُفرَ له) (٦٨).



وبمثل هذا يشهد الفقيه المعروف أبو حنيفة، كما في (مسند أبي حنيفة، قال الحسن بن زياد: سمعتُ أبا حنيفة وقد سُئِلَ مَنْ أفضه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد. لما أقدمه المنصور بعث إليّ، فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فُتِنُوا بجعفر بن محمد فهبّ، له من مسائلك الشداد، فهبّأت له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة، فأتيته، فدخلتُ عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به، دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمتُ عليه، فأوماً إليّ فجلستُ، ثم التفتَ إليه، فقال: يا أبا عبدالله هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه، ثم التفتَ إليّ، فقال: يا أبا حنيفة ألقِ عليّ أبي عبدالله من مسائلك، فجعلتُ ألقِي عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، وربما تابعنا وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بشيء. ثم قال أبو حنيفة: أليس أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس) (٦٩).

وقد أمضى الامام جعفر الصادق عليه السلام جُلَّ حياته في المدينة المنورة منصرفاً لإحياء السنة الشريفة ونشر معارف الوحي، كتب الشهرستاني يصف الإمام الصادق عليه السلام (وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة، يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق، وأقام بها مدة) (٧٠).

واشتهر مجلسه في المدينة؛ لأنه (كان يجلس للعامة والخاصة، ويأتيه الناس من الأقطار، يسألونه عن الحلال والحرام، وعن تأويل القرآن، وفصل الخطاب، فلا يخرج أحد منهم إلا راضياً بالجواب) (٧١). واستقطب مجلسه القادمين إلى المدينة، فكان أهل العلم لا يتركون الورد عليه عندما يأتونها، فقد دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبدالله بن مسلم، فقال له: (يا أبا حنيفة، إن ههنا جعفر بن

محمد، من علماء آل محمد، فاذهب بنا إليه، نقتبس منه علماً، فلما أتيا إذا هما
بجماعة من علماء شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه... (٧٢) ولم ينقطع
توافد أصحابه عليه على مدار السنة، وكان يزدحم وفدهم وقت الحج، فمثلاً
عُرف عن زرارة بن أعين واخوانه مجيؤهم إليه من الكوفة باستمرار، حتى قال
ربيعة الرأي لأبي عبدالله عليه السلام: ما هؤلاء الأخوة الذين يأتونك من العراق، ولم أر
في أصحابك خيراً منهم ولا أهياً؟ قال: أولئك أصحاب أبي، يعني ولد أعين (٧٣).
وهكذا (عمر بن محمد بن يزيد أبو الأسود ببيع السابري... أحد من كان يفد في
كل سنة) (٧٤)، إلى أبي عبدالله عليه السلام من الكوفة للارتشاف من معارف الوحي لديه.
وهاجر آخرون من أصحابه إلى المدينة عازفاً عن وطنه ملتحقاً به عليه السلام، مثلما
فعل حماد بن عيسى الجهني البصري، الذي (لحق بأبي عبدالله عليه السلام، ومات بوادي
قناة بالمدينة... سنة تسع ومائتين) (٧٥).

وقد أسهم تزايد وفود أصحاب الصادق عليه السلام إلى المدينة في تنامي الحركة
العلمية فيها، وازدهار حلقات الدراسة والمناظرة في أروقة مسجد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول أبو خالد الكابلي: (رأيت أبا جعفر صاحب الطاق، وهو
قاعد في الروضة، قد قطع أهل المدينة أزراره، وهو دائب يجيهم ويسألونه،
فدنوت منه، فقلت: إن أبا عبدالله ينهانا عن الكلام، فقال: أمرك أن تقول لي؟
فقلت: لا والله، ولكن أمرني أن لا أكلم أحداً، قال: فاذهب فأطعه فيما أمرك،
فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فأخبرته بقصة صاحب الطاق، وما قلت له، وقوله
لي اذهب وأطعه فيما أمرك، فتبسم أبو عبدالله عليه السلام، وقال: يا أبا خالد، إن صاحب
الطاق يكلم الناس فيطير وينقض، وأنت إن قصوك لن تطير) (٧٦). وما كان لهذه
الحركة العلمية أن تأخذ بالاتساع لو لم يكن الإمام مرشداً وهادياً لها، فقد كان
أبو عبدالله عليه السلام، يقول لعبد الرحمن بن الحجاج: (يا عبد الرحمن كلم أهل المدينة،



فإنني أحب أن يُرى في رجال الشيعة مثلك) (٧٧).

وكان الامام جعفر الصادق عليه السلام يعمر تلامذته يفيض من العطف والرعاية والمودة، ويتكفل شيئاً من نفقتهم، ويقوم بضياقتهم في منزله إذا وردوا المدينة، يقول زيد الشحام: (رآني أبو عبدالله عليه السلام وأنا أصلي، فأرسل اليّ ودعاني، فقال لي: من أين أنت؟ قلت: من مواليك، قال: فأبي موالي؟ قلت: من الكوفة، فقال: من تعرف من الكوفة؟ قلت: بشير النبال وشجرة، قال: وكيف صنيعتهما اليك؟ فقال: ما أحسن صنيعتهما إليّ! قال: خير المسلمين من وصل وأعان ونفع، ما بت ليلة قط والله في مالي حقّ يسألني، ثم قال: أي شيء معكم من النفقة؟ قلت: عندي مائتا درهم، قال: أرنيها، فأتيت بها فزادني فيها ثلاثين درهماً ودينارين، ثم قال: تعشّ عندي، فجئت فتعشيت عنده، قال: فلما كان من القابلة لم أذهب إليه، فأرسل إليّ فدعاني من عنده (من غده)، فقال: مالك لم تأتني البارحة، قد شفقت عليّ؟ فقلت: لم يجئني رسولك، قال: فأنا رسول نفسي إليك مادمت مقيماً في هذه البلدة، أي شيء تشتهي من الطعام؟ قلت: اللبن، قال: فاشترى من أجلي شاة لبوناً... (٧٨). ويتكرر هذا الموقف مع آخرين من أصحابه جاءوا المدينة، فعن مفضل بن قيس بن رمانة، الذي قال: (دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فشكوت إليه بعض حالي، وسألته الدعاء... فقال: هذا كيس فيه أربعائة دينار، فاستعن به، قال: قلت: لا والله، جعلت فداك ما أردت هذا، ولكن أردت الدعاء لي... (٧٩). وفي حالات أخرى يبادر من يدخل عليه فيكرمه، كما يقول جابر المكفوف: (دخلت عليه، فقال: أما يصلونك؟ قلت: بلى، ربما فعلوا، قال: فوصلني بثلاثين ديناراً... (٨٠). بهذا الأسلوب يتفقد أبو عبدالله عليه السلام تلامذته، ويتولى تأمين نفقاتهم، ويقيهم الحاجة إلى غيره، وهو أسلوب ينبئنا عن كيفية تمويل التعليم وتأمين نفقات المتعلم وقتئذ.

وطالما حثَّ الامام عليه السلام أتباعه على طلب العلم، ولا سيما الشباب منهم، وتمنى لهم أن ينخرطوا في سلك العلماء والمتعلمين، روى (أبو قتادة عن أبي عبدالله عليه السلام، أنه قال: لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غادياً في حالين: أما عالماً أو متعلماً، فإن لم يفعل فرط، فإن فرط ضيع، وإن ضيع أثم، وإن أثم سكن النار، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق) (٨١).

وأفصح الصادق عليه السلام عن معيار يحدد في ضوئه منزلة كل واحد من شيعته، فيما رواه عن أبيه الباقر عليه السلام حين قال له: (يا بني اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإن المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرایات للروایات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الايمان، إني نظرت في كتاب لعلي فوجدت في الكتاب: أن قيمة كل أمرء وقدره معرفته، إن الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا) (٨٢).

مدرسة المدينة بعد الامام الصادق عليه السلام:

لم يدم عصر الازدهار الذي عاشته مدرسة المدينة بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام إثر ازدياد الاضطهاد، الذي كان يتعرض له تلامذة الأئمة في العصر العباسي، وقسوة الأحوال الأمنية التي عاشوها، وانتهت بإمامهم موسى الكاظم عليه السلام إلى السجن، ثم القتل بالسم. وهيمنت حالة من الخوف والذعر على الشيعة بالمدينة، أدت إلى حرصهم على التكتم، واحاطة نشاطهم بالسرية، يقول هشام بن سالم: (كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبدالله عليه السلام، أنا، ومؤمن الطاق، وأبو جعفر،... فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومي إلي بيده، فخفت أن يكون من عيون أبي جعفر، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على أن من اتفق من شيعة جعفر فيضربون عنقه، فخفت أن يكون منهم، فقلت لأبي



جعفر: تنحّ فإني خائف على نفسي وعليك، وإنما يريدني ليس يريدك، فتنحّ عني لا تهلك وتعين على نفسك، فتنحّي غير بعيد. وتبعت الشيخ، وذلك أني ظننت أني لا أقدر على التخلص منه، فمازلت أتبعه حتى وردني على باب أبي الحسن موسى عليه السلام، ثم خلّاني ومضى، فإذا خادم بالباب، فقال لي: أدخل رحمك الله، قال: فدخلت فإذا أبو الحسن عليه السلام... قلت: جعلتُ فداك، أسألك عما كان يسأل أبوك؟ قال: سل تُخبر ولا تُدع، فإن أذعت فهو الذبح، قال: فسألته فإذا هو بجر. قال: قلت: جعلتُ فداك شيعتك وشيعة أبيك ضلال فألق إليهم، وادعهم إليك فقد أخذت عليّ بالكتان؟ قال: مَنْ آنست منهم رُشداً فألق إليهم، وخذ عليهم بالكتان، فإن أذاعوا فهو الذبح، وأشار بيده إلى حلقه... (٨٣).

إن هذه الظروف حالت بين الإمام الكاظم عليه السلام واتصال أصحابه به بنحو طبيعي، ذلك أن غياب الحرية ينتج ضمور الحركة العلمية وتراجعها، ومع ذلك فإن الإمام عليه السلام لم يتخلّ عن مهمة بثّ معارف الوحي ونشرها بين خاصة أصحابه، كما حرص تلامذته على الإفادة من أية فرصة تتاح لهم بلقائه، وتسجيل كلّ شيء يتفوّه به، روى أبو الوضاح أن أباه قال: (كان جماعة من خاصة أبي الحسن عليه السلام من أهل البيت، والشيعه، يحضرون، ومعهم في أكمامهم ألواح أبنوس لطاف، وأميال، فإذا نطق أبو الحسن بكلمة أو أفتى في نازلة، أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك) (٨٤).

وأصر الشيعة على مواصلة الاتصال بأبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام وهو في سجنه ببغداد، عبر مراسلات كانت تجري بطريقة سرية، ولم تمنعه الرقابة المشددة في السجن، وقسوة الأحوال التي كان يعيشها فيه من بيان معارف الوحي على خاصته، يقول علي بن سويد السائي: (كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام وهو في الحبس، أسأله عن حاله، وعن جواب مسائل كتبت بها إليه، فكتب إلي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ... (٨٥).

وربما بادر في بعض المرات فبعث هو رسائل من سجنه إلى شيعته لتجلية وتوضيح أمور معينة؛ لئلا يلتبس الموقف فيها عليهم، يقول الحسين بن المختار: (خرجت إلينا ألواح من أبي إبراهيم موسى عليه السلام، وهو في الحبس، فإذا فيها مكتوب: عهدي إلى أكبر ولدي) (٨٦). بيد أن ما تعرض له الإمام موسى بن جعفر عليه السلام من رقابه مشددة، آلت في خاتمة المطاف إلى الحبس ثم الشهادة، لم تحجبه عن طلاب العلم وتمنعهم من التلمذ على يديه، أحصى منهم الشيخ الطوسي في رجاله ما يربو على مائتين وخمسين (٨٧). ومع أن هذا العدد من التلاميذ يعدّ قليلاً بالمقارنة مع عدد تلامذة أبيه جعفر الصادق عليه السلام، الذي قدّر بأربعة آلاف، لكن هذا العدد يعتبر كبيراً بالنسبة إلى طبيعة الظروف السياسية، التي عاشها الإمام وأصحابه في ظل الحكم العباسي.

وبالرغم من أن هذه الظروف أعاقَت الإمام الكاظم عليه السلام عن التصدي للتدريس وإدارة الحلقات العلمية في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مثلما كان يفعل سلفه، إلا أنه عمد لتبني أساليب أخرى لا تثير حفيظة عيون السلطة، في تربية وتعليم تلامذته، ويمكن التعرف على شيء من ذلك في العدد الوفير من الصحف والنسخ الحديثية التي دونها هؤلاء التلاميذ عنه، فقد ذكر النجاشي طائفة من أسمائهم مع بيان لأسماء كتبهم التي تلقوها من الإمام الكاظم عليه السلام، ومن هؤلاء: محمد بن تميم النهشلي التميمي البصري (٨٨)، ومحمد بن صدقة العنبري البصري (٨٩)، وعلي بن عبيد الله بن حسين (٩٠)، والحسن ابن علي بن يقطين (٩١)، وأخو الإمام الكاظم علي بن جعفر (٩٢)، ومحمد بن الفرَج الرُّخَجِّي (٩٣)، وعبدالله ابن محمد الأهوازي (٩٤)، وعلي بن يقطين (٩٥)، وموسى بن إبراهيم المروزي (٩٦)، وعلي بن حمزة بن الحسن (٩٧)، ومحمد بن زُرْقَان (٩٨)، ومحمد بن ثابت (٩٩).



ومحمد بن فضيل بن كثير الصيرفي الأزدي^(١٠٠). وذكر الشيخ الطوسي في الفهرست «مسائل» ليونس بن عبد الرحمن^(١٠١)، ولصفوان بن يحيى^(١٠٢)، رويها عن موسى بن جعفر^{عليه السلام}.

ولم يقفل مسجد رسول الله ﷺ في هذه الحقبة أبوابه تماماً عن حلقات الدراسة، ومجالس العلم الشيعية، وإنما كان ينتخب موسى بن جعفر^{عليه السلام} بعض أصحابه، ممن يتوفر على مزايا علمية متميزة، فيوجهه لعقد مجلس علم في المسجد؛ لئلا يغيب صوت الهدى عن هذا المكان الشريف، يقول حماد: (كان أبو الحسن^{عليه السلام} يأمر محمد بن حكيم أن يجالس أهل المدينة في مسجد رسول الله ﷺ، وأن يكلمهم ويخاصمهم، حتى يكلمهم في صاحب القبر، فكان إذا انصرف إليه، قال له: ما قلت لهم؟ وما قالوا لك؟ ويرضى بذلك منه)^(١٠٣).

على أن قلة ظهور موسى بن جعفر^{عليه السلام} وتكتمه على بعض نشاطه العلمي، لم يخف حقيقته عن المسلمين، فقد استأثر بمقام المرجعية العلمية خلفاً لسلفه من آباء الأئمة^{عليهم السلام}، واعترف له بذلك قطاع كبير ممن عاصره أو جاء بعده، فمثلاً (كان أحمد بن حنبل مع انحرافه عن أهل البيت^{عليهم السلام}، لما روي عنه، قال: حدثني موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب، قال: قال: رسول الله ﷺ، ثم قال أحمد: وهذا إسناد لو قرئ على مجنون لأفاق)^(١٠٤). بل أن هارون الرشيد الذي حبس موسى بن جعفر^{عليه السلام} فيما بعد، يعترف بمقامه العلمي لما دخل عليه الإمام في المدينة، فبالغ الرشيد في احترامه، سأله ولده المأمون عن دوافع هذا الاحترام بدهشة! (لقد رأيتك عملت بهذا الرجل شيئاً ما رأيتك فعلته بأحد من أبناء المهاجرين، والأنصار، ولا بني هاشم، فمن هذا الرجل؟ فقال: يا بني هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر

بن محمد عليه السلام، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا. قال المأمون: فحينئذ انغرس في قلبي محبتهم (١٠٥).

وبعد وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام تصدّى لرعاية مدرسة المدينة ولده الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، الذي نهج منهج سلفه في إشاعة معارف الوحي لتلامذته الخاصين، حذراً من محاولات السلطة العباسية التي اغتالت والده، وكثفت جهودها لإجهاض مدرسته، ولذلك لم تعد حلقات مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مسجد رسول الله ﷺ في هذه الحقبة إلى عصر ازدهارها السابق في أيام جعفر الصادق عليه السلام وأبيه محمد الباقر عليه السلام فقد صوّر أحد تلامذة الإمام الرضا عليه السلام حالة الخوف التي كانوا يعيشونها عقيب وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، بقوله: (لما مضى أبو الحسن موسى عليه السلام، وتكلم الرضا خلفنا عليه من ذلك، وقلنا له: إنك قد أظهرت أمراً عظيماً، وإننا نخاف عليك هذا الطاغية، فقال: ليجهد جهده، ولا سبيل له عليّ. قال صفوان: فأخبرنا الثقة أن يحيى بن خالد، قال للطاغية: هذا عليّ ابنه قد قعد وادّعى الأمر لنفسه، فقال: ما يكفيننا ما صنعنا بأبيه، تريد أن تقتلهم جميعاً) (١٠٦) من هنا اضطر علي بن موسى عليه السلام لاقتفاء أثر أبيه في التكتّم على المههم من حركته العلمية في زمن هارون الرشيد، لكن هلاك الرشيد وجلس المأمون الذي أظهر الولاء لأهل البيت على منصة الخلافة، أشاع مناخاً مناسباً من الحرية للإمام الرضا عليه السلام وتلامذته، وأتاح لهم ممارسة حياتهم الفكرية من دون خشية السلطان، وبرز الدور العلمي للإمام بالتدرّج، بحيث أضحى مقامه العلمي في المدينة، هو المرجع الذي يتلقّى جميع أهل العلم منه، ويرجع إليه طلاب العلم دون غيره من علماء التابعين، الذين كان عددهم وفيراً في المدينة آنذاك، كما ينقل أبو الصلت الهروي: (ولقد سمعتُ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، يقول: كنتُ أجلسُ في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيى



الواحد منهم عن مسألة، أشاروا إليّ بأجمعهم، وبعثوا إليّ بالمسائل، فأجبتُ عنها^(١٠٧). وقد أذعن علماء الأديان له، واعترفوا بتفوقه العلمي، بعد أن فنّد مقولاتهم، ونقض حججهم، وتغلب عليهم في مناظراته معهم، فقد ذكر الهروي أنه لم يرَ (أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام)، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادته، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان، وفقهاء الشريعة، والمتكلمين، فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي أحد منهم إلا أقرّ له بالفضل، وأقرّ عليّ نفسه بالقصور...^(١٠٨).

وأكد إبراهيم بن العباس تفوق علي بن موسى الرضا عليه السلام العلمي على كافة علماء عصره، بقوله: (... وما رأيته نقل إلا علمه، ولا رأيته أعلم منه، بما كان في الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه، وكان كلامه كلّ، وجوابه، وتمثله، انتزاعات من القرآن، وكان يختمه في كلّ ثلاث، ويقول: لو أني أردت أختمه في أقرب من ثلاث لحتمت، ولكني ما مررت بآية قط إلا فكرتُ فيها، وفي أي شيء أنزلت، وفي أي وقت، فلذلك صرتُ أختمه في كلّ ثلاث)^(١٠٩).

لقد ازدلف طلاب العلم من شتى الأمصار ينهلون من معارف الوحي عند علي بن موسى الرضا عليه السلام، وصار العلماء يقتفون أثره للتزود منه أينما حلّ، كما (حدث أبو الصلت، قال: كنت مع علي ابن موسى الرضا عليه السلام، وقد دخل نيسابور، وهو راكب بغلة شهباء، فغدا في طلبه علماء البلد: أحمد بن حرب، وياسين بن النضر، ويحيى بن يحيى، وعدة من أهل العلم، فتعلقوا بلجامه في المربعة، فقالوا: بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك، قال: حدثني أبي العدل الصالح موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي الصادق جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي باقر علم الأنبياء محمد بن علي، قال: حدثني أبي سيد العابدين علي بن

الحسين، قال: حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي، قال: سمعت أبي سيد العرب علي بن أبي طالب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. قال: وقال: أحمد بن حنبل: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرأ من جنونه^(١١٠). وروى أبو الصلت هذا الحديث في مجلس طاهر بن عبدالله بن طاهر بخراسان، (وفي مجلسه يومئذ إسحاق بن راهويه... وجماعة من الفقهاء وأصحاب الحديث... فخرس أهل المجلس كلهم، ونهض أبو الصلت، فنهض معه إسحاق بن راهويه والفقهاء، فأقبل إسحاق بن راهويه على أبي الصلت، وقال له:.. يا أبا الصلت، أي إسناد هذا؟ فقال: يا بن راهويه، هذا سعوط المجانين، هذا عطر الرجال ذوي الألباب^(١١١)).

لقد منحت الحرية النسبية في عصر المأمون الإمام الرضا عليه السلام فرصة ثمينة لنشر السنة الشريفة بين رواة الحديث، ولذلك كان يحث أصحابه باستمرار على تعلم معارف أهل البيت عليهم السلام، واداعنها ونشرها بين الناس، كما يتعرف الناس على معالم مدرسة الوحي عبر قنواتها الأصيلة. يقول الهروي: (سمعتُ أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحمياً أمرنا، فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا، ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا...)^(١١٢) ووردت اشارات يستفاد منها أن الإمام الرضا عليه السلام كان يطلب من بعض تلامذته التصدي لمهمة التعليم في مواطنهم، وكان يحيل إليهم أصحاب من مواطنهم، فقد ذكر عبد العزيز بن المهدي، الذي كان من خاصة أصحاب الإمام عليه السلام أنه سأله قائلاً: (إني لا ألقاك في كل وقت، فعمّن آخذ معالم ديني؟ قال: خُذْ من يونس بن عبدالرحمن)^(١١٣). وقال ابن المسيب الهمداني: (قلت للرضا عليه السلام شقتي بعيدة، ولست أصل اليك في كل وقت، فمّن آخذ معالم ديني؟ قال: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا)^(١١٤). إن توجيه الإمام



الرضا عليه السلام أصحابه لتعلم معالم دينهم من يونس بن عبد الرحمن، وزكريا بن آدم، يدل على اهتمام الإمام عليه السلام بتنمية النبتة الفتية للحركة العلمية في الأمصار الشيعية، التي عُرسَت بذرتها من قبل آباءه الطاهرين عليهم السلام وتلامذتهم المخلصين. وتجدر الإشارة إلى أن العصر الذي عاش فيه الإمام الرضا عليه السلام اتسم بازدهار الحياة العقلية وتأسيس مراكز علمية هامة لدى المسلمين، التي كان من أبرزها بيت الحكمة في بغداد، الذي باشر فيه جملة من المترجمين نقل العلوم اليونانية وغيرها من علوم الأوائل إلى العربية. وقد رافق هذه الحركة ولادة وانبعثات مجموعة تيارات فكرية، كانت تموج بها الحياة العقلية وقتئذ، وولدت في هذا الفضاء الثقافي أسئلة متنوعة، حار أهل العلم في تقديم إجابات شافية عنها، فتكفل علي بن موسى الرضا عليه السلام ببيان إجابات دقيقة عن تلك الأسئلة الحائرة، فقد ذكر محمد بن عيسى البقطيني في تقدير عدد الأسئلة، أنه: (لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام، جمعت من مسأله، مما سُئل عنه وأجاب عنه، خمس عشرة ألف مسألة) (١١٥). وهو عدد كبير، ولا سيما إذا لاحظنا طبيعة العصر آنذاك وبدائية وسائل الاتصال فيه. بيد أن هذا العدد من المسائل يكشف عن مدى نمو الحياة العقلية في ذلك العصر، والموقع الذي كان يحتله الإمام في توجيهها.

وبعد وفاة علي بن موسى الرضا عليه السلام ورثه في الإشراف على مدرسة المدينة ولده أبو جعفر محمد الجواد عليه السلام، الذي نصّ عليه بقوله: (... هذا أبو جعفر، قد أجلسه مجلسي، وصيرته مكاني، وقال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القُدَّة بالقُدَّة) (١١٦). وقد تصدى أبو جعفر عليه السلام للمهام، التي كان يضطلع بها أبوه من قبل في سن مبكرة، وبرهن للعمامة والخاصة تقدمه على سواه، وحمله لموارث النبوة، فكان إذا دخل مسجد رسول الله ﷺ هرع إليه أهل العلم

للإفادة منه، وتؤكد بعض المواقف أن التبجيل والاحترام اللذين يعامله بهما هؤلاء يعبران عن اعترافهم بفضله وتقدمه على غيره، ويتجلى هذا بوضوح في الموقف الذي نقله (محمد بن الحسن بن عمار، قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنين أكتب عنه ما يسمع من أخيه - يعني أبا الحسن عليه السلام - إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا المسجد - مسجد الرسول صلى الله عليه وآله - فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولارداء، فقبل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عم أجلس رحمك الله، فقال: ياسيدي كيف أجلس وأنت قائم، فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه، وأنت تفعل به هذا الفعل؟ فقال: اسكتوا، إذا كان الله عز وجل - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشبيبة، وأهل هذا الفتى، ووضع حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد) (١١٧). مع العلم أن علي بن جعفر كان من العلماء المعروفين في مدرسة أهل البيت عليهم السلام في ذلك الوقت، حتى أن بعض التلامذة كان يبقى عدة سنوات متلمذاً عليه، وهو في هذا المقام العلمي الشاخص نراه يبالغ في تعظيم الإمام الجواد عليه السلام، وهذا يكشف عن الإذعان لمرجعيته العلمية لمدرسة المدينة، والاعتراف بتفوقه على من عاصره من أهل العلم. وقد تجاوزت شهرة الإمام عليه السلام حدود المدينة، فعرفه أهل العلم في بقية الأمصار، خاصة في عاصمة الخلافة يومئذ بغداد، (وكان المأمون قد شُغِفَ بأبي جعفر عليه السلام، لما رأى من فضله مع صغر سنه، وبلوغه في العلم والحكمة، والأدب، وكمال العقل، ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوجه ابنته أم الفضل، وحملها معه إلى المدينة، وكان متوفراً على إكرامه، وتعظيمه، وإجلال قدره) (١١٨). وكان المأمون قد واجه معارضة شديدة من البيت العباسي لما قرر تزويج ابنته لأبي جعفر الجواد عليه السلام، فاضطر أن يفصح لهم عن الأسباب التي دعت للإقدام على ذلك،



بقوله: (وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا أن الرأي ما رأيتُ فيه) (١١٩). إلا أن المعترضين لم يقبلوا ما قاله المأمون، (فقالوا: إن هذا الصبي وإن راقك منه هدْيُه، فإنه صبيٌّ لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب، ويتفقه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.. فقال لهم: ... فإن شئتم فامتنحوا أبا جعفر، بما يتبين لكم به ما وصفتُ من حاله). فاتفقوا مع المأمون على انتداب قاضي القضاة يحيى بن أكثم لامتحانه، وكان أبو جعفر يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فعقد مجلس بحضور المأمون، والمعترضين، وبدأت المناظرة بسؤال وجهه يحيى بن أكثم لأبي جعفر عليه السلام، بالصيغة التالية: (ما تقول - جعلتُ فداك - في مُحْرِمٍ قَتَلَ صَيْدًا؟ فقال له أبو جعفر: قَتَلَهُ فِي حِلٍّ أَوْ حَرَمٍ؟ عالمًا كان المُحْرِمُ أم جاهلاً؟ قتله عمدًا أو خطأ؟ حُرًّا كان المُحْرِمُ أم عبدًا؟ صغيرًا كان أم كبيرًا؟ مُبْتَدئًا بالقتل أم مُعيدًا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم من كبارها؟ مُصْرًّا على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً؟ مُحْرِمًا كان بالعمرة إذ قتله، أو بالحج كان مُحْرِمًا؟ فتحير يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجَّح حتى عَرَفَ جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته، وقال لهم:

أعرفتم الآن ما كنتم تُنكرُونه؟... ثم أجاب أبو جعفر عليه السلام على هذه الفروع بالتفصيل، وعاد فسأل يحيى بن أكثم بمسألة أخرى، فلم يجر ابن أكثم جواباً، فأجاب عليها الإمام عليه السلام مثلما فعل في سابقتها (فأقبل المأمون على مَنْ حضره من أهل بيته، فقال لهم: هل فيكم أحدٌ يجيبُ عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدّم من السؤال؟! قالوا: لا والله، إن أمير المؤمنين أعلمُ

وما رأى.

فقال لهم: ويحكم، إن أهل هذا البيت خُصُّوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام، وحكم له به، ولم يدع أحداً في سنه غيره. وبايع الحسن والحسين عليه السلام، وهما ابنا دون الست سنين، ولم يبايع صبياً غيرهما؟ أفلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم، وأنهم ذرية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟! قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم (١٢٠).

ومكث أبو جعفر مضطرباً بالمرجعية العلمية في المدينة طيلة حياته، فلم يزل بها حتى أشخصه المعتصم في أول سنة عشرين ومائتين إلى بغداد، فأقام بها إلى أن توفي في آخر ذي القعدة من هذه السنة (١٢١). وكان مقامه في المدينة محط أنظار الفقهاء والمحدثين، فقد استقطب القادمين إلى الحج منهم، وكانوا بعد إنصرافهم يردون المدينة للقاء أبي جعفر الجواد عليه السلام والتزود من علومه، والوقوف على الإجابات الصحيحة للأسئلة والإشكالات المختلفة، التي كانت تتوالد كل يوم، مع اتساع معرفة المسلمين بالثقافات المترجمة من اليونانية والسريانية وغيرها. ففي أحد السنوات (وكان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً، فخرجوا إلى الحج، وقصدوا المدينة؛ ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام، فلما وافوا أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنها كانت فارغة، ودخلوها وجلسوا على بساط كبير، وخرج اليهم عبدالله بن موسى، فجلس في صدر المجلس، وقام مناد، وقال: هذا ابن رسول الله ﷺ، فمن أراد السؤال فليسأله، فُسئِلَ عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب، فورد على الشيعة ما حيرهم وغمهم، واضطربت الفقهاء، وقاموا وهموا بالانصراف، وقالوا



في أنفسهم: لو كان أبو جعفر عليه السلام يكمل لجواب المسائل لما كان من عبدالله ما كان، ومن الجواب بغير الجواب. فُتِّحَ عليهم باب من صدر المجلس، ودخل موفَّق وقال: هذا أبو جعفر، فقاموا إليه بأجمعهم، واستقبلوه، وسلموا عليه، فدخل صلوات الله عليه، وعليه قيصان، وعمامة بذوايتين، وفي رجله نعلان، وجلس، وأمسك الناس كلهم، فقام صاحب المسألة فسأله عن مسأله، فأجاب عنها بالحق، ففرحوا، ودعوا له، وأثنوا عليه، وقالوا له: إنَّ عمَّكَ عبدالله أفتى بكيت وكيت، فقال: لا إله إلا الله، يا عمَّ إنَّه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه، فيقول لك: لم تُفتي عبادي بما لم تعلم، وفي الأمة مَنْ هو أعلم منك؟ (١٢٢).

وخلف الإمام أبو جعفر الجواد عليه السلام بعد وفاته وكده الإمام أبا الحسن علي الهادي عليه السلام، الذي شغل مقام أبيه في رعاية مدرسة المدينة، فقد مكث الإمام الهادي عليه السلام في المدينة نحو ثلاث وعشرين سنة بعد وفاة أبيه، ثم أشخصه المتوكل العباسي إلى العراق، (وكان مقامه بسُرَّ مَنْ رأى إلى أن قبض عشر سنين وأشهرًا) (١٢٣). وكان أبو الحسن عليه السلام يتولى رعاية تلامذته، ويشرف على أنشطتهم، ويتابع أعمالهم، ويراقب سلوكهم وهو في المدينة، عبر مكاتباته معهم، هذه المكاتبات التي تضمنت حلولاً لمشكلات عقائدية وفكرية كان يتعرض لها أتباع الإمام عليه السلام المنتشرون في شتى الأصقاع، ولعل من أبرز هذه المكاتبات رسالته عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض، وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، والتي جاء فيها: (من علي بن محمد، سلام عليكم، وعلى مَنْ اتبع الهدى، ورحمة الله وبركاته، فإنه ورد عليّ كتابكم، وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم، وخوضكم في القدر، ومقالة مَنْ يقول منكم بالجبر، ومَنْ يقول منكم بالتفويض، وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتوني عنه، وبيانه لكم، وفهمت ذلك كله. اعلموا رحمكم الله... (١٢٤). وكان أصحابه

يلجأون إليه في مختلف أنواع التحديات التي تواجههم، ويأتي جوابه ليكون القول الفصل في ذلك، فمثلاً كتب إليه بعض أصحابه: (جُعِلْتُ فداك ياسيِّدي، إن علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك، وأنت أنت الأول القديم، وأنه بابك ونيك أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم... فكتب عليه: كَذَبَ ابن حسكة عليه لعنة الله، وبحسبك أني لا أعرفه في موالي، ماله لعنه الله، فوالله ما بعث الله محمداً والأنبياء قبله إلا بالحنيفية...) (١٢٥).

وكانت الحركة العلمية عند الشيعة تحظى برعاية الإمام بكافة مناشطها وفعاليتها، وحرص الشيعة في عصره على الرجوع إليه فيما التبس من مواقف وأفكار في حياتهم، وإطلاعه على التراث الذي بأيديهم، لمعرفة مدى أصالته ومطابقته لهدي أهل البيت عليه السلام، فقد قال الجعفري: (أدخلتُ كتاب يوم وليلة الذي ألفه يونس بن عبد الرحمن على أبي الحسن العسكري عليه السلام، فنظر فيه، وتصفحه كله، ثم قال: هذا ديني ودين آبائي، وهو الحق كله) (١٢٦).

ومع أن المصادر التاريخية تسكت عن الحديث حول النشاط التعليمي الخاص لأبي الحسن الهادي عليه السلام في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، إلا أن المصادر الرجالية ترجمت لأكثر من مائة وستين تلميذاً من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام (١٢٧)، من سائر بلدان التشيع وقتئذ. ويدل هذا العدد على كثافة الجهود التي كان يبذلها أبو الحسن عليه السلام في تربية وتعليم تلامذته المقيمين في المدينة، والذين يعيشون خارجها؛ في سائر البلدان.

مدرسة المدينة بعد الإمام الهادي عليه السلام:

غادر الإمام الهادي عليه السلام موطنه وموطن آباءه عليه السلام المدينة مضطراً، بعد أن أشخصه المتوكل إلى سامراء، وفُرِضَ عليه وعلى ولده الإمام العسكري عليه السلام



الاقامة فيها إلى وفاة الإمام الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤ هـ، ثم وفاة الإمام العسكري سنة ٢٦٠ هـ، وغيبة الإمام الثاني عشر المهدي عليه السلام.

وبغياب أبي الحسن الهادي عليه السلام عن المدينة طويت صفحة نور متألثة من تاريخ مدرسة الوحي بالمدينة، تعاقب على إدارتها سلسلة مطهرة من الهداة بدءاً بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بعد هجرته للمدينة حتى العقد الخامس من القرن الثالث الهجري، بعد أن غادر الإمام العاشر عليه السلام من أئمة أهل البيت عليهم السلام المدينة إلى سامراء.

ربما يقال هل أقفلت هذه المدرسة أبوابها، وانصرف طلابها، منذ منتصف القرن الثالث، أم واصلت رسالتها في نشر معارف الوحي في القرون التالية؟ في الجواب عن هذا السؤال، يمكن القول: أنه نستطيع أن نحزم بعدم خلو المدينة من وجود أعلام معروفين من الشيعة في فترات مختلفة، وهذا ما يورده بصراحة المؤرخون وكتاب التراجم، فمثلاً أحصينا ما ترجمهم السيد محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة» من الأعلام الشيعة المنسوبين إلى المدينة منذ عصر الصحابة إلى القرن الرابع عشر الهجري، فوجدنا الرقم يقترب من الأربعمئة، بيد أن ذلك لا يمنعنا من القول: إن المدينة لم تعد حاضرة علمية أساسية للتشيع بعد عصر الأئمة عليهم السلام؛ لغلبة الآخرين عليها، وانتقال المركز العلمي منها إلى الكوفة، وقم، والري، ثم بغداد. وبقاء الشيعة فيها أقلية إلى عصرنا هذا.

تلخيص واستنتاج:

تأسيساً على ما سبق يمكن استخلاص النقاط التالية؛ لبيان معالم مدرسة

المدينة:

١ - مؤسس مدرسة المدينة هو رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد الهجرة الشريفة، ثم

وَرثه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وورث الحسنان أبيهما عليهم السلام، ولم يزل أبناؤهم الأئمة يرث الخلف منهم السلف إلى أن هاجر الإمام العاشر أبو الحسن الهادي عليه السلام تاركاً المدينة إلى سامراء مكرهاً بأمر المتوكل العباسي.

٢- مركز الحركة العلمية في المدينة هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففيه كانت تُعقد حلقات الدروس، وفيه يتلقى الرواة الأحاديث الشريفة، ويتعلم أهل القرآن تلاوته، وتفسيره، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه. وفيه أيضاً كانت تجري المناظرات العلمية، وإليه ترد البعثات من سائر الأمصار، ممن يرحلون في طلب العلم. وربما علّم الأئمة عليهم السلام في منازلهم أحياناً خاصة شيعتهم، حذراً من أعين السلطان.

٣- لم تقتصر مهمة التعليم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الأئمة عليهم السلام فقط، بل كانت تعقد حلقات لتلامذتهم البارزين أيضاً، مثل حلقة عبدالله بن عباس كما ذكرنا فيما سبق، وغيره. وبموازاة ذلك عُقدت حلقات لرجال معروفين من الصحابة في هذا المسجد كعبدالله بن عمر، وآخرين من التابعين بعد ذلك. وتميز فيما بعد دور مالك بن أنس الذي انطلق مذهبه من أروقة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتلميذه محمد بن إدريس الشافعي.

٤- مرت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالمدينة تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها التشيع بالأدوار التالية:

أ- الدور الأول: ويبدأ هذا الدور بتأسيس مدرسة المدينة، ويمتد إلى وفاة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سنة ١٤٨ هـ، ويمثل هذا الدور الذي استمر قرن ونصف القرن تقريباً عصر نشأة هذه المدرسة ونموها وبلوغها ذروة تكاملها في حياة الإمام الصادق عليه السلام.

ب- الدور الثاني: ويبدأ هذا الدور مع الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام



بعد وفاة أبيه جعفر الصادق عليه السلام، ويمتد إلى مغادرة الإمام علي بن محمد الهادي المدينة إلى سامراء نحو سنة ٢٣٤ هـ، ويمثل هذا الدور الذي استمر نحو قرن من الزمان عصر انكماش هذه المدرسة، واختفاء بعض نشاطاتها، وانتقال بعض حلقاتها من المسجد النبوي، وغياها في بيوت أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بالمدينة، وتحوّل بعض فعاليتها العلمية، مثل بعض الاتصالات والمكاتبات إلى الحالة السرية، حذراً من السلطان الغاشم وجواسيسه على نشاطات الأئمة وشيعتهم.

ج- الدور الثالث: ويبدأ هذا الدور في منتصف القرن الثالث الهجري، بعد هجرة الإمام الهادي عليه السلام من المدينة، وانتقال مركز علوم أهل البيت عليهم السلام قبل ذلك إلى الكوفة، وقم، والري، ثم بغداد. ويمثل هذا الدور عصر اضمحلال هذه المدرسة، وأفولها، وقلة تعاطي دراسة علوم أهل البيت عليهم السلام فيها.

٥- كانت مدرسة المدينة هي ينبوع الذي تدفقت منه علوم أهل البيت عليهم السلام إلى المراكز العلمية الأخرى عند الشيعة، فمنها فاض العلم إلى الكوفة، ومنها فاض العلم إلى البصرة، ومنها فاض العلم إلى قم والري، ثم انتشرت العلوم من هذه المراكز فيما بعد إلى غيرها من البلدان.

٦- علوم مدرسة المدينة تمحورت بالسنة الشريفة، والتفسير وعلوم القرآن، بشكل أساسي، وظهرت فيها في فترة لاحقة بذور علم الكلام والفقه، واشتد عود العلمين الأخيرين في الدور الثاني من أدوار مدرسة المدينة.

٧- خلّفت مدرسة أهل البيت عليهم السلام في المدينة ميراثاً علمياً هاماً، تجسّد في مجموعة كُتُب توارثها أهل البيت عليهم السلام، هي: «صحيفة علي عليه السلام»، و«كتاب علي عليه السلام» أو «الجامعة»، و«مصحف فاطمة عليها السلام»، و«الصحيفة السجادية»، و«رسالة الحقوق». هذا غير الكُتُب والمصنفات العديدة المنسوبة للأئمة عليهم السلام، التي رواها تلامذتهم عنهم (١٢٨).

٨- شهدت مدرسة المدينة أول تجارب للبعثات التعليمية في تاريخ التعليم عند المسلمين، إذ لاحظنا بعض تلامذة أهل البيت عليه السلام يهاجر من موطنه في العراق، ويقوم في المدينة أربع سنوات لغرض الدراسة، بينما كان آخرون يكتفون فترات أقل، ويتكاثف وجود طلاب العلم في موسم الحج.

٩- عرفت مدرسة المدينة بالمدرسة السيارة المتنقلة، كما لاحظنا ذلك في خروج عدد غفير من القراء بمعية علي بن الحسين عليه السلام إلى مكة ورجوعهم معه بعد الفراغ من الموسم، واهتمامهم بالتلقي منه طيلة الطريق، وهكذا فعل أهل العلم مع بقية أهل البيت عليه السلام. حتى أضحت مدرسة المدينة تنتقل إلى مكة كل عام في موسم الحج مع قدوم إمام ذلك العصر إلى الحج، فيزدحم حوله المحدثون والفقهاء والمتكلمون للارتشاف من غير علمه في حلقاته بالمسجد الحرام طيلة مقامه بمكة.

١٠- ظهرت في مدرسة المدينة التجارب الأولى لتمويل التعليم عند المسلمين، بإيواء التلميذ القادم من خارج المدينة، واستضافته، والانفاق عليه.



الهوامش :

- (١) العلق / ١.
- (٢) العلق / ٣.
- (٣) العلق: ٤، ٥.
- (٤) البقرة ١٥١، آل عمران ١٦٤.
- (٥) ابن هشام، السيرة النبوية تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٦م، ج ١: ص ٢٧٠ (الهامش).
- (٦) المصدر السابق، ص ٣٤٢-٣٤٣.
- (٧) حول مساهمات الشيعة في نشأة وتطور العلوم الاسلامية راجع: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للسيد حسن الصدر. طهران: منشورات الأعلم، والشيعة الامامية ونشأة العلوم الاسلامية، للدكتور علاء الدين السيد أمير محمد القزويني. قم: انتشارات الشريف الرضي.
- (٨) ابن النديم، الفهرست. تحقيق: رضا تجدد، طهران: ١٩٧١م، ص ٣٠.
- (٩) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ط ٢، ١٩٦٥م، ج ١: ص ٢٧.
- (١٠) الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات. تصحيح: محسن التبريزي. قم: ١٤٠٤هـ، ص ٢٩٠.
- (١١) الشيخ الصدوق. الخصال، تصحيح: علي أكبر الغفاري. قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ص ٤٥١.
- (١٢) الشيخ المفيد: الاختصاص. تصحيح: علي أكبر الغفاري. قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ص ٢٣٦.
- (١٣) عتر، د. نور الدين. منهج النقد في علوم الحديث. دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ، ص ٤٦.
- (١٤) صحيح البخاري (باب كتابة العلم من كتاب العلم). بيروت: دار الفكر، ١٤١١هـ، ج ١: ص ٤١.
- (١٥) النجاشي، أحمد بن علي. رجال النجاشي. تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني. قم: جماعة المدرسين، ١٤٠٧هـ، ص ٣٦٠.
- (١٦) بصائر الدرجات. ص ١٤٥.
- (١٧) المصدر السابق. ص ١٤٧.
- (١٨) المصدر السابق. ص ١٦١. (للتعرف المفصل على هذه الكتب، يمكن مراجعة أصول الكافي، ج ١: ص ٢٣٨-٢٤٢ (باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة).
- (١٩) راجع: قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. للمحقق الشيخ محمد تقي التستري.
- (٢٠) شرح نهج البلاغة، ج ١: ص ١٨.
- (٢١) الشيخ الصدوق. الخصال. تصحيح: علي أكبر الغفاري. قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ص ٦١٠-٦١١.
- (٢٢) المصدر السابق، ج ١: ص ١٩-٢٠.

- (٢٣) الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد أو مدينة الإسلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ. بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١: ص ١٧٤ - ١٧٥.
- (٢٤) أحمد أمين. فجر الإسلام. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٥م ص ١٧٣ - ١٧٤، ٢٠٢ - ٢٠٣.
- (٢٥) بصائر الدرجات: ص ١١٨.
- (٢٦) ابن عساكر. ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: محمد باقر المحمودي. قم: مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٤هـ، ص ٢١٠ - ٢١١.
- (٢٧) علي بن عيسى الأربلي. كشف الغمة في معرفة الأئمة. تعليق: هاشم الرسول. بيروت: دار الكتاب الإسلامي، ج ٢: ص ١٦٩.
- (٢٨) البروج ٣.
- (٢٩) الأحزاب ٤٥.
- (٣٠) هود / ١٠٣.
- (٣١) كشف الغمة، ج ٢: ص ١٦٩.
- (٣٢) الهزلي: نسبة إلى الهزل مقابل الجد. وهي إشارة إلى أن حلقة الإمام الحسين ليس فيها عبث وشعوذة وإنما كل ما فيها حق وصواب.
- (٣٣) ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق. ص ١٢.
- (٣٤) الكهف / ٨٢.
- (٣٥) ترجمة الامام الحسين من تاريخ مدينة دمشق. ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
- (٣٦) ابن سعد. الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، ج ٥: ص ٢١٤.
- (٣٧) المزني. تهذيب الكمال في أسماء الرجال تحقيق: د. بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ ج ٢٠: ص ٣٨٦.
- (٣٨) المصدر السابق، ص ٣٨٩.
- (٣٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء الزمان. تحقيق: د. إحسان عباس. قم: منشورات الرضي، مج ٣: ص ٢٦٩.
- (٤٠) الكليني. روضة الكافي. تصحيح: علي أكبر الغفاري. بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٥هـ، ص ٦٠ - ٦٣.
- (٤١) المصدر السابق، ص ١٣.
- (٤٢) الطبقات الكبرى. ج ٥: ص ٢١٧.
- (٤٣) الكليني. روضة الكافي. ص ٨٩ - ٩٠.
- (٤٤) اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي. تصحيح: حسن المصطفوي. مشهد: جامعة مشهد، ١٣٤٨ ش، ص ١١٧.
- (٤٥) المصدر السابق، ص ١١٧.
- (٤٦) المصدر السابق، ص ١١٥.
- (٤٧) تهذيب الكمال، ج ١٠: ص ٣٦٤.
- (٤٨) الطبقات الكبرى، ج ٦: ص ٢٥٨.
- (٤٩) تهذيب الكمال، ج ١٠: ص ٣٦٤.



- (٥٠) رجال الكشي، ص ١١٩.
- (٥١) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء تحقيق: مأمون الصاغري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ ج ٤: ص ٤٠٢.
- (٥٢) المصدر السابق، ص ٤٠٢.
- (٥٣) الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسس آل البيت عليه السلام الحياء التراث، ١٤١٣ هـ ج ٢: ص ١٦٣.
- (٥٤) المصدر السابق، ص ١٦٣، ١٦٧.
- (٥٥) المصدر السابق: ص ١٦٠.
- (٥٦) فروع الكافي، ج ٦: ص ٢٥٦.
- (٥٧) رجال الكشي، ص ٢١٩.
- (٥٨) محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ ج ٤٦: ص ٣٥٥.
- (٥٩) المصدر السابق، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.
- (٦٠) رجال النجاشي، ص ١٠ - ١٢.
- (٦١) بحار الأنوار، ج ٤٦: ص ٢٨٩.
- (٦٢) رجال الكشي، ص ١٦٣.
- (٦٣) المصدر السابق: ص ١٦٧.
- (٦٤) المصدر السابق، ص ١٩٢ - ١٩٣.
- (٦٥) الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، رجال الطوسي، قم: منشورات الرضي، ص ١٠٢ - ١٤٢.
- (٦٦) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد - المفيد - ص ١٧٩، ١٨٦.
- (٦٧) المصدر السابق، ص ١٩٩ - ٢٠١.
- (٦٨) بحار الأنوار، ج ٤٧: ص ٢٠، عن: أمالي الصدوق، ص ٥٤٢.
- (٦٩) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تصحيح: هاشم الرسولي المحلاني، قم: انتشارات علامه، ج ٤: ص ٢٥٥.
- (٧٠) الشهرستاني، كتاب الملل والنحل، تخريج: محمد بن فتح الله بدران، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ج ١: ص ١٤٧.
- (٧١) المسعودي، علي بن الحسين، اثبات الوصية، بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٩ هـ، ص ١٩٦.
- (٧٢) الطبرسي، الاحتجاج، ص ٢١٠.
- (٧٣) رجال الكشي، ص ١٦١.
- (٧٤) العلامة الحلي، رجال العلامة الحلي، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٦١ م، ص ١١٩.
- (٧٥) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص ٢٠٥.
- (٧٦) رجال الكشي، ص ١٨٥ - ١٨٦.
- (٧٧) المصدر السابق، ص ٢٤٢.

- (٧٨) رجال الكشي. ص ٣٦٩.
- (٧٩) رجال الكشي ص ١٨٤.
- (٨٠) المصدر السابق. ص ٣٣٥.
- (٨١) الشيخ الطوسي. الأمالي. تحقيق: مؤسسة البعثة. قم: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ، ص ٣٠٣.
- (٨٢) الشيخ الصدوق. معاني الأخبار. تصحيح: علي أكبر الغفاري. قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٣٦١ش، ص ٢-١.
- (٨٣) السيد أبو القاسم الخوئي. معجم رجال الحديث. (د.م): ط ٥، ١٤١٣هـ، ج ٢٠: ص ٣٢٦-٣٢٧.
- (٨٤) بحار الأنوار. ج ١٢: ص ٢٧٨. (طبعة الكسباني).
- (٨٥) رجال الكشي. ص ٤٥٤.
- (٨٦) الشيخ الصدوق. عيون أخبار الرضا. تصحيح: السيد مهدي الحسيني اللاجوردي. قم: ١٣٦٣ش، ص ٣٠.
- (٨٧) رجال الطوسي. ص ٣٤٢-٣٦٦.
- (٨٨) رجال النجاشي. ص ٣٦٥.
- (٨٩) المصدر السابق. ص ٣٦٤.
- (٩٠) المصدر السابق. ص ٢٥٦.
- (٩١) المصدر السابق. ص ٤٥.
- (٩٢) المصدر السابق. ص ٢٥٢.
- (٩٣) المصدر السابق. ص ٣٧١.
- (٩٤) المصدر السابق. ص ٢٢٧.
- (٩٥) المصدر السابق. ص ٢٧٣.
- (٩٦) المصدر السابق. ص ٤٠٨.
- (٩٧) المصدر السابق. ص ٢٧٢-٢٧٣.
- (٩٨) المصدر السابق. ص ٣٧٠.
- (٩٩) المصدر السابق. ص ٣٦٩.
- (١٠٠) المصدر السابق. ص ٣٦٧.
- (١٠١) الشيخ الطوسي. الفهرست. ص ١٨١.
- (١٠٢) المصدر السابق. ص ٨٣.
- (١٠٣) رجال الكشي. ص ٤٤٩.
- (١٠٤) ابن شهر آشوب. مناقب آل أبي طالب. ج ٤: ص ٣١٦-٣١٧.
- (١٠٥) الصدوق. عيون أخبار الرضا. ج ١: ص ٩٣.
- (١٠٦) الطبرسي. إعلام الوري بأعلام الهدى. تصحيح: علي أكبر الغفاري: بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩، ص ٣١٣.
- (١٠٧) المصدر السابق. ص ٣١٥.
- (١٠٨) المصدر السابق. ص ٣١٥.
- (١٠٩) المصدر السابق. ص ٣١٤.



- (١١٠) الأربلي. كشف الغمة. ج ٣: ص ٩٧.
- (١١١) الشيخ الطوسي. الأمالي. ص ٤٤٩.
- (١١٢) الشيخ الصدوق. عيون أخبار الرضا. ج ١: ص ٣٠٧.
- (١١٣) رجال الكشي. ص ٤٨٣.
- (١١٤) رجال العلامة الحلي. ص ٧٥.
- (١١٥) الشيخ الطوسي كتاب الغيبة. تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، والشيخ علي أحمد ناصح. قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١ هـ، ص ٧٣.
- (١١٦) الشيخ المفيد. الإرشاد. ج ٢: ص ٢٧٦.
- (١١٧) أصول الكافي. ج ١: ص ٣٢٢.
- (١١٨) الشيخ المفيد. الإرشاد. ج ٢: ص ٢٨١.
- (١١٩) المصدر السابق. ج ٢: ص ٢٨٢.
- (١٢٠) المصدر السابق. ص ٢٨٣ - ٢٨٧.
- (١٢١) المصدر السابق. ص ٢٨٩.
- (١٢٢) الشيخ محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ هـ، ج ٥٠: ص ١٠٠.
- (١٢٣) الشيخ المفيد. الإرشاد. ج ٢: ص ٣١٢.
- (١٢٤) الحسن بن علي بن شعبة الحراني. تحف العقول عن آل الرسول تصحيح: علي أكبر الغفاري. قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٤ هـ، ص ٤٥٨ - ٤٧٥.
- (١٢٥) رجال الكشي. ص ٥١٨ - ٥١٩.
- (١٢٦) رجال الكشي. ص ٤٨٤ - ٤٨٥.
- (١٢٧) رجال الطوسي. ص ٤٠٩ - ٤٢٧.
- (١٢٨) حول هذه الكتب، والمؤلفات المنسوبة للأئمة عليهم السلام، راجع كتاب: تدوين السنة الشريفة: ص ٥٢ - ٧٨، و ص ١٣٤ - ١٨٧. للصديق العلامة المحقق السيد محمد رضا الحسيني الجلاي.